ما هي دموع التماسيح؟
و هل تبكي فعلاً ؟

ما من أحد إلا استعمل ذات يوم عبارة «يبكي دموع التماسيح» وذلك في وصفه لشخص يبدي ندماً غير حقيقي أو أسفاً غير مخلص، ولكن هل فكر في أصل هذه العبارة ومعناها؟

هل تذرف التماسيح فعلاً دموعاً حزناً على ضحاياها؟ أم أنها تبكي نفاقاً؟ أم أن للسائل الذي يفرزه أحدها من عينيه قصة أخرى؟

يحتاج الإنسان في حياته لكمية معينة من الأملاح يحصل عليها من الماء الذي يشربه أو من الطعام الذي يتناوله، وعندما تزيد نسبة الأملاح في الجسم عن حد معين يسعى الدم للتخلص منها وطردها خارجاً، فتقوم الكليتان بمهام جهاز إزالة الملوحة الزائدة من الدم وتخلصه من فائض الأملاح وتطرحها مع البول.

obeikandl.com

تختلف باقي الأحياء في طرق إزالة الملوحة الفائضة من أجسامها، فالأسماك مثلاً تحمل خلايا خاصة في خياشيمها تمتص الأملاح من دمها وتطرحها خارجاً بدلاً من الكليتين عند الإنسان.

أما الطيور البحرية فتمتلك نوعاً من الغدد في الطرف العلوي من حجاب العين تسمى الغدة الملحية، وظيفتها امتصاص الأملاح الزائدة وطرحها عبر قناة تصب في تجويف الأنف، وإذا ما جرى إطعام طائر بحري فإن أنفه سيبدأ بالسيلان بعد دقائق كما لو أنه مصاب بالزكام.

أما الزواحف Reptiles كالتماسيح، فإن مجرى الغدة الملحية يصب في مآق العيون فيسيل السائل المالح قطرات «مترقرقة» من عيني التمساح ويبلل «وجنتيه» عقب التهامه فريسة وذلك للتخلص من الأملاح الفائضة في جسمه والتي ابتلعها مع الماء، وتفيد هذه الدموع أيضاً في تنظيف عيني التمساح وحمايتهما من نمو البكتريا.

تبدو هذه الظاهرة «الشاعرية» بشكل ملحوظ في زاحف آخر هو السلحفاة البحرية التي «تبكي» بغزارة شديدة لنفس سبب «بكاء» التمساح وهو التخلص من الأملاح الفائضة.

obeikandl.com